ظهور الاتجاه الإصلاحي في الصين في المدة ١٨٨٥ ـ١٨٩٥

م . م . نادية كاظم محمد العبودي
الجامعة المستنصرية-كلية التربية الأساسية

المقدمة:

طالما نظر الصينيون الى منحاهم الفكري على انه ذروة التفكير الانساني وان ثقافتهم أرقى ثقافة في الوجود، بل لعلها الوحيدة ، وان إمبراطورهم هو ابن السماء ، وما الشعوب الأخرى – بما فيها الدول الغربية – سوى (همج متبربرين) الاجدر بهم الاعتراف بسيادة ابن السماء عليهم ، ولكن بعد انفتاح الصين على العالم الخارجي بعد عزلة استمرت لأكثر من قرنين اثر سلسلة من الحروب التي شنتها عليها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، وألحقت بها الهزائم المتتالية وأجبرتها على توقيع سلسلة معاهدات غير متكافئة ، انتقصت فيها من سيادة إمبراطورية الوسط – الصين – وأرغمتها على فتح أبوابها عنوةً للتجارة والتبشير والتبادل الدبلوماسي . بعد كل ذلك هل بقي الصينيون على ذلك التسامي والاعتزاز بمنحاهم التفكيري، ولاسيما بعد فشلهم في مواجهة تلك التحديات ؟ وهل تأثروا بحضارة تلك الدول التي اجبروا على الاحتكاك بها ؟ وهل وجدوا بالحضارة الغربية حلاً لمشاكل الصين ؟ واذا كان كذلك فهل انسلخوا عن الحضارة الصينية ام انهم جعلوها الأساس في الاصلاح ؟ ... هذا ما حاولنا الإجابة عنه في هذه الصفحات التي تناولت جزءاً مهماً من تاريخ الصين الحديث الذي لم يحظ بعناية كافية من قبل باحثينا ، على الرغم من انه بحاجة لمزيد من البحث والتقصي عن الحقائق لسد جزء من الفراغ الذي تعاني منه مكتباتنا خاصة والمكتبات العربية عامة، معتمدين في ذلك على عدد من المصادر الوثائقية العربية والصينية المعربة والفرنسية والإنكليزية التي اعتمدت بشكل مباشر على الوثائق الصينية التي كتبها مسؤولون صينيون في دوائر الدولة ، والمذكرات التي رفعها سفراء تلك الدول في بكين الى حكوماتهم فضلاً عن كتابات المبشرين والرحالة التي غطت جزءاً مهماً من تاريخ الصين الحديث .

أولاً- دواعي التوجه نحو الاصلاح الدستوري :

إذا كانت هزيمة الصين في حرب الافيون الاولى (١٨٣٩-١٨٤٢)[١]، اسفرت في احد جوانبها عن حصول بداية التحول الفكري نحو ضرورة تبني تقنيات الدول الغربية، فإن هزيمتها في حرب الافيون الثانية (١٨٥٦-١٨٦٠)[٢]، وقيام سلسلة من الحركات الثورية المعادية [٣]، التي أوصلت حكومة اسرة المانشو[٤]، وجهازها البيروقراطي ، الى حافة الهاوية، جعلت العديد من المفكرين وحكام الاقاليم والمقاطعات مثل فينغ كوي فين (١٨٠٩-١٨٧٤) تسنغ كوفان (١٨١١ -١٨٧٢) حاكم اقليم هونان، لي هونغ تشانغ (١٨٢٣ -١٩٠١) حاكم مقاطعة تشيهلي

، تسوتسونغ تانغ (١٨١٢ -١٨٨٥) حاكم إقليم شنسي وقانصو، يدركون مدى أهمية ذلك التحول في تعزيز قوة الدولة ، واعادة هيبتها ، من خلال الاستعانة بالتقنيات الغربية، بهدف إيجاد جبهة عسكرية تمكنها من القضاء على الحركات الثورية ، ولتظهر نفسها قوية امام الدول الغربية، بشكل يحد من تماديها في مطالبها الاستعمارية في الصين ، وعرفت هذه السياسة بسياسة التعزيز الذاتي (١٨٦٠-١٨٩٥) والتي تزامن تطبيقها مع وصول الإمبراطورة الأرملة يهونالا (١٨٦٠-١٩٠٨)[٥]، الى سدة الحكم في الصين ، والتي طالما وقفت عقبة كأداء في طريق الاصلاح[٦].

وفي الوقت الذي نجحت فيه هذه السياسة في القضاء على الحركات الثورية فإنها اخفقت في وضع حد للتدخل الاجنبي ، والذي اخذ يتعزز في تلك المدة ، سياسياً واقتصادياً ودينياً، إذ اخذت الدول الغربية تتذرع بمختلف الحجج والذرائع لانتزاع امتيازات جديدة من الحكومة الصينية ، ففي عام ١٨٨٦ انتزعت بريطانيا بورما من الصين وضمتها الى الهند، وفي عام ١٨٩٠ أجبرتها على التخلي عن حقوقها في نيبال، اما فرنسا فإنها تمكنت من فرض حمايتها على كمبوديا عام ١٨٦٣ ومملكة فيتنام عام ١٨٨٣ ، متجاوزة في ذلك سيادة الصين عليها، وقاد ذلك لاحقاً الى قيام الحرب الصينية – الفرنسية ١٨٨٤-١٨٨٥ ، وهزمت فيها القوات الصينية، واجبرت الحكومة الصينية على توقيع معاهدة تيانتسين في ٩ حزيران ١٨٨٥، وتخلت بموجبها عن حقوقها في فيتنام[٧].

أظهرت هزيمة الصين في حربها مع فرنسا، قصوراً كبيراً في سياسة التعزيز الذاتي التي لم يحاول قادتها اصلاح نظام الحكم الذي تسيطر عليه نظرية إمبراطورية الوسط، التي آمن بها الصينيون، والتي بقيت الصين بموجبها أرقى الامم، وان امبراطورها هو ابن السماء، والاجدر بالامم الاخرى –بما فيها الدول الغربية– الاعتراف بسيادته عليهم[٨]. فكان من نتيجة ذلك ان بقى الجهاز الحكومي الدبلوماسي والعسكري عاجزاً عن مواجهة تحديات الدول الأجنبية الساعية الى تقسيم الصين فيما بينها، الامر الذي وضع البلاد في ازمة وطنية حادة[٩].

وفي خضم البحث عن مخرج من هذه الازمة ظهرت في المدة الواقعة ما بين هزيمة الصين في الحرب مع فرنسا عام ١٨٨٥ ، وهزيمتها في الحرب مع اليابان ١٨٩٥ تيارات فكرية وسياسية لكل منها منهجه الخاص واسلوبه في النهوض ومجابهة التحدي[١٠]. ففي الوقت الذي مثل فيه إسقاط حكومة المانشو وإقامة الحكم الجمهوري، الحل الامثل فيما يتعلق بصن يات صن[١١]، واتباعه،اعتقد الاصلاحيون الذين تأثروا بتجربة اليابان الاصلاحية (الميجي)[١٢]،أن إقالة البلاد من عثارها يتطلب القيام بحركة اصلاحية شاملة لا تقتصر على استعارة التقنيات

الغربية ،كما فعل قادة حركة التعزيز، بل وتهدف ايضاً الى تغيير نظام الحكم من ملكية مطلقة الى ملكية دستورية،تقتسم فيها الجماعات البرجوازية السلطة مع الجماعات الاقطاعية على وفق نظام دستوري محدد(١٣).

والواقع ان هذين التيارين قد نما وترعرعا في المناطق الجنوبية من الصين ، التي ظهر فيها الاتجاه الوطني بشكل متميز اثناء حروب الافيون والحرب الصينية – الفرنسية، فضلاً عن الموانئ المفتوحة(١٤) التي كانت اسبق تلقياً للمؤثرات الخارجية من المناطق الأخرى بحكم إحتكاكها المبكر بالدول الغربية ، وتركز مستوطنات الجاليات الأجنبية فيها ، والتي أثر أسلوب ادارتها القائم في انتخاب المجالس البلدية ، وإنشائها المؤسسات التجارية والادارية والثقافية الحديثة ، التي اسهمت جنباً الى جنب مع الارساليات التبشيرية التي نشطت جمعياتها في تلك المدة ، مثل جمعية الادب المسيحي ، جمعية لندن التبشيرية في اصدار الكتب والمجلات والصحف المترجمة الى اللغة الصينية وابرزها صحيفة العالم التي أثرت في نمو الافكار الاصلاحية الدستورية لدى بعض الصينيين المثقفين المتأثرين بالثقافة الغربية، ولا سيما أن بعض المبشرين مثل تيموتي ريتشارد Timothy Richard (١٨٤٥-١٩١٩) العضو البارز في جمعية لندن التبشيرية، تمكنوا من ممارسة تأثير عليهم في ذلك الاتجاه(١٥). وهذه محاولة واضحة لتدخل المبشرين في الحياة السياسية في الصين ، وتوجيهها بالشكل الذي يخدم مصالح دولهم، إذ أن وصول الاصلاحين الى سدة الحكم يعني تقليص نفوذ المحافظين المتطرفين الذين طالما وقفوا ضد سياسة الانفتاح والاصلاح ، وحرضوا الشعب على محاربة الارساليات التبشيرية. والواقع ان الارساليات التبشيرية، ولا سيما الامريكية، وسعت نفوذها في الصين بعد هزيمتها في حروب الافيون، إذ أصبح بعض المثقفين اكثر تقبلاً للأفكار والعلوم الحديثة بشكل أضعف تمسكهم بالثقافة التقليدية الصينية وجعلهم اقل عدائية تجاهها(١٦). ومن الجدير بالذكر انه على الرغم مما حملته هذه الارساليات من جوانب سلبية استعمارية، الا أنها لا تخلوا من جوانب إيجابية تمثلت بدعوتها الى إحدى الديانات الموحدة الى جانب اسهامها في نقل الافكار السياسية والاقتصادية والاجتماعية الغربية الى الصين من خلال اصداراتها المختلفة، الامر الذي ترك اثر واضحاً في اسلوب استجابة المثقفين الصينيين لتحديات تلك المرحلة.

والى جانب ما تقدم، فان ظهور الطبقة البرجوازية الصينية، شكل عاملاً مهماً من عوامل التوجه نحو الاصلاح الدستوري، لإستخلاص حقوقها في المشاركة في نظام الحكم وحمايتها من المنافسة الاجنبية(١٧). ولا سيما أن إزدياد وجودها في الاقاليم الجنوبية من الصين البعيدة عن مركز الحكم، مكنها من تقديم الدعم للحركة الاصلاحية، بل أن البرجوازيين والعمال الذين هاجروا

الى سيام، وسنغافورة، وماليزيا، والفلبين، والهند الصينية الفرنسية، وجزر الهند الشرقية الهولندية، وجزر هاواي على الساحل الغربي للولايات المتحدة بحثاً عن ظروف عمل افضل ، حافظوا على علاقات مستمرة مع اقاربهم في تلك الاقاليم، وقدم بعضهم الدعم لها[١٨]. بقي ان نشير الى تأثير اتصال الأقاليم الجنوبية ، ولا سيما كوانغتونغ ، في المستعمرة البريطانية هونغ كونغ، والتي اصبحت قناة مهمة من قنوات الاتصال بالثقافة الغربية، من خلال النشرات والاصدارت المختلفة التي وجدت طريقها الى جنوب الصين فضلاً عن هجرة اعداد كبيرة من المثقفين والبرجوازيين والعمال اليها ، والذين عمل بعضهم تحت حماية الادارة البريطانية، واعجبوا باسلوب الادارة فيها ، وأدركوا أن أسلوب الحكم والإدارة التقليدية في الصين، لم تعد ملائمة لروح العصر ، وغير قادرة على مواجهة تحديات تلك المرحلة[١٩]. وعليه فانه ليس من قبيل الصدفة ان تشهد الاقاليم الجنوبية من الصين نمواً كبيراً في الحركتين الاصلاحية والثورية ولا سيما، خصوصاً بعد ان اثبتت هزيمة الصين امام فرنسا عدم نجاح حركة التعزيز الذاتي.

ثانياً - ظهور الاتجاه الاصلاحي الدستوري :

تأسيساً على ما تقدم ، ظهر بعد هزيمة الصين امام فرنسا إتجاه سياسي فكري اصلاحي برز دوره في الحياة السياسية في الصين ، بشكل واضح ، بعد الحرب مع اليابان، ومثله رواد عدة ممن زاروا أوربا والولايات المتحدة وأعجبوا بأنظمتها فاختلطت في اذهانهم النظريات الصينية القديمة ، بالفكر الغربي الحديث[٢٠]. ففي عام ١٨٩٠ اصدر تانغ زين احد المفكرين الصينيين كتاباً بعنوان (تحذير ضد الخطر) دعا فيه الى إقامة نظام برلماني في الصين على غرار الانظمة البرلمانية التي اقيمت في اوربا والولايات المتحدة، واكد على ان ذلك حقاً اقره كتاب الطقوس[٢١]. بأنه (يجب على صاحب السلطة إستشارة شعبه) على أن يتكون ذلك البرلمان من مجلسين للشيوخ والعموم ، ويضم الاول كبار موظفي الدولة من حملة الشهادات الكونفوشيوسية ، والذين يجب منحهم لقب سيناتور – أي عضو مجلس الشيوخ-، أما مجلس العموم فيتشكل من بقية الموظفين ، ويضطلع هذان المجلسان بوظائف مجلس الحرب ومجلس الرقابة ، ولتنظيم الادارة المحلية في الاقاليم اقترح تشكيل برلمانات على غرار البرلمان الرئيس في العاصمة التي اقترح نقلها الى شيان شمال غرب الصين[٢٢].

وظهر تأثر الفكر الإصلاحي بالتراث الصيني واضحاً في اراء الصحفي وانغ تاو[٢٣] (١٨٢٨-١٨٩٧) الذي اكد اهمية بقاء الحضارة الصينية الاساس في الاصلاح ، الى جانب ضرورة الأخذ بأنظمة الدول الغربية القائمة على مبدأ الانتخاب ، وأوضح أن نظام الملكية الدستورية ، هو انسب نظام فيما يتعلق بالصين. ولدعم النظام الاقطاعي اكد شين كيو ، الذي أصدر كتيباً في عام ١٨٩٣ ، بشأن التنظيم السياسي للصين، إقترح فيه تحويل الاقاليم

والمقاطعات والمحافظات والاقضية والنواحي الى أقسام إدارية سياسية ، يقوم إقتصادها على الإكتفاء الذاتي، وتحكم وراثياً من قبل حكام إقطاعيين يشكلون بدورهم برلماناً يؤدي دوراً استشارياً في الحكومة[٢٤]. والملاحظ هنا انه على الرغم من تأثر هؤلاء المفكرين بالانظمة البرلمانية الغربية الا أنهم لم يستطيعوا أن ينسلخوا عن التراث الصيني ، بل حاولوا ان يجعلوه الأساس في الاصلاح والتطور، وقد يرد ذلك الى ارتباط مكانتهم في المجتمع بالمحافظة على ذلك التراث ، والى جانب ذلك فإن آراء بعضهم اكتفت بدعوة صريحة لدعم النظام الإقطاعي من خلال تشكيل برلماناً من الحكام الإقطاعيين .

وتبع اولئك مفكرون اصلاحيون اخرون مثل يان فو[٢٥] (١٨٥٣-١٩٢١) الذي عبر عن آرائه الإصلاحية في سلسلة مقالات ، نشرها في صحيفة الاخبار الوطنية ، التي كانت تصدر في تيانتسين كل عشرة ايام، وعنيت بنشر العديد من الموضوعات العلمية والسياسية الحديثة ، المقتبسة أغلبها من الصحافة اليابانية والغربية ، فضلاً عن مقالات يان ، التي أوضح فيها أن حاجة الصين لا تكمن في إقتباس العلوم والتكنلوجيا الاجنبية ، والتنظيم السياسي الحديث فحسب بل وفي ضرورة تغيير نظرتها للواقع ، الذي أصبحت تتحكم فيه نظرية البقاء للأقوى ، لا المثل والمبادئ الكونفوشيوسية ، وأوضح أن فشل الصين في سياسة التغريب إنما يرجع الى ولع الصينيين بالماضي من دون أن يعطوا أهمية حقيقية للتطورات الحديثة، لذلك فإنه دعا لسياسة إصلاحية شاملة وتدريجية ، تضع حداً لإحتكار المحافظين للسلطة السياسية، ويكون فيها الإمبراطور موضع رضى الشعب، الذي يجب تثقيفه بالعلوم الحديثة، الى جانب ذلك فانه اكد أهمية إقامة علاقات جيدة مع الدول الغربية[٢٦].

وظهرت الدعوة الإصلاحية بأجلى صورها في الكتاب الذي أعده تشنغ كوان ينغ في عام ١٨٦٢، ونشره في عام ١٨٩٣، بعد ان نقحه مرات عدة، وطبع بأسماء مختلفة حتى وصل صيغته النهائية بعد ثلاثين عاماً، بعنوان (تحذير يقدم في وقت الازدهار والرخاء) وأصبح ممثلاً للاتجاه الاصلاحي اذ تضمن وجهات النظر الاساسية للإصلاحيين وهي :

١- ان الحفاظ على إستقلال الصين وسيادتها يعتمد على مدى تعلمها من الغرب، الا ان ذلك يجب ان يكون مقترناً بالاصلاح السياسي لتعزيز قوة الدولة ، خلافاً لسياسة التعزيز الذاتي التي لم تتعد حدودها إكتساب التكنلوجيا والعلوم الحديثة من الغرب .

٢- النهوض بالصناعة الوطنية والتجارة وإقامة استثمارات حرة ، ومحاولة إشراك بقية أفراد الشعب الى جانب أصحاب رؤوس الأموال في ذلك من خلال اسهاماتهم بالعمل .

٣- عد الاصلاحيون نظام الملكية الدستورية اكثر ملائمة للصين من الانظمة الاخرى السائدة ن كالملكية المطلقة والجمهورية [٢٧].

وأصبحت هذه الأفكار الحجر الأساسي للحركة الإصلاحية لعام ١٨٩٨ التي قادها كانغ يووي[٢٨] (١٨٥٨-١٩٢٨) وتبعه فيها يان فو، هوانغ تسون- هيسيان (١٨٤٨-١٩٠٥) ليانغ تشي تشاو (١٨٧٣-١٩٢٩) تان سو- تانغ (١٨٦٥-١٨٩٨) وانغ كانغ- نيان (١٨٦٠-١٩١١)، الذين تأثروا بما نال الصين من هزائم متكررة على ايدي الدول الاجنبية، وما تبع ذلك من محاولات لاقتسامها، وادركوا ان الصين ستفنى دولة وشعباً، ما لم يتم النهوض بحركة إصلاحية شاملة تنطوي على التخلص من الأنظمة السياسية التقليدية وتتبنى أنظمة الدول الغربية التي لا تكمن قوتها في التطور التكنولوجي فحسب وانما في قوة تنظيمها السياسي[٢٩].

ظهرت أفكار كانغ يووي الإصلاحية في عدد من الكتب والمقالات التي الفها ، ففي عام ١٨٨٧ انتهى من تأليف كتابه (الوئام العظيم) الذي امتزجت فيه الافكار الكونفوشيوسية والبوذية والتاوية وآراء اشتراكية ، الى جانب بعض المفاهيم عن انظمة الدول الغربية السياسية والاجتماعية ودعا فيه الى تحقيق المساواة ، والغاء الملكية الخاصة ، وتنظيم سكان العالم كله في وحدات انتاجية وزراعية وصناعية ، تنتهي عندها حدود الدولة ، وتشجع فيها الابتكارات والاكتشافات ، معتبراً ذلك الطريق السليم لتحرير الانسان من الاضطهاد. من الواضح ان هزيمة الصين في الحرب مع فرنسا ، جعلت كانغ اكثر جرأة في تقديم المذكرات الى العرش، ففي نهاية عام ١٨٨٨ رفع كانغ عند قدومه الى بكين، لاداء الامتحان على مستوى المقاطعة، مذكرة الى الإمبراطورة الارملة والإمبراطور الشاب كونغ شيوي ، أبدى فيها شعوراً وطنياً متحمساً ووعياً للتهديد الذي يحدق بالصين ، إذ أنكر على الحكومة رفضها القيام بالإصلاح لتحسين وضع البلاد ، وعدم توفيرها الإجراءات اللازمة لحماية البرجوازية الناشئة من الاستيراد الاجنبي ، وحذرها من قيام انتفاضات شعبية جديدة في حال إصرارها على سياسة القمع ، ونبهها الى السياسة العدوانية للدول الأجنبية تجاه الصين، مؤكداً ما أخذت تشكله اليابان من خطر جسيم عليها ، وطالب الحكومة القيام بإصلاحات شاملة ، بما فيها إقامة برلمان يشارك فيه البرجوازيون وملاك الأرض المثقفون ، وتطهير الجهاز الإداري من المحافظين المتطرفين الرافضين الإصلاح واستبدالهم بالإصلاحيين[٣٠].

وعلى الرغم من أهمية هذه المقترحات التي اعتقد كانغ انها كفيلة بإنقاذ الصين من الأخطار المحدقة بها، الا أنها لم تصل الى الإمبراطور نتيجة اعتراض مجلس الرقابة في البلاط

الإمبراطوري على محتوياتها، ومع ذلك فهي أصبحت معروفة في العاصمة، إذ وزعت نسخاً منها على بعض المسؤولين في الدولة[٣١].

من الواضح ان هذه المقترحات عبرت عن آراء كانغ بالاصلاح، اذ انه لم يؤمن بتغيرات جذرية ولا ثورية سريعة وبلور أفكاره على نحو اعتقد انه اكثر واقعية وكانت هذه العريضة مقدمةً لسلسلة عرائض قدمها كانغ للإمبراطور لإقناعه بالإصلاح.

على الرغم من فشل كانغ في الامتحان، وفي ايصال افكاره الاصلاحية للحكومة، الا انه واصل محاولاته لنشرها والدفاع عنها، من خلال محاضراته التي القاها في (اكاديمية وانمو) التي اسسها في كوانغتونغ عام ١٨٩١، والإستعانة بالأفكار الكونفوشيوسيه لتبرير آرائه، في عدد من الكتب التي الفها بعد انضمامه لحركة عرفت بـ(حركة المتن الجديد) التي استهدفت اعادة تقييم النصوص القديمة على هدي التطور الفكري الحديث، للإفادة من التراث الصيني في اصلاح البلاد [٣٢]. منها (دراسة للكلاسيكيات المنقحة) الذي صدر في عام ١٨٩١، وكتاب (بحث حول الاصلاح الكونفوشيوسي) الذي بدأ بوضعه عام ١٨٩٢ واتمه بعد سنوات، وقد حاول في مؤلفه الأول أن يكسب آراءه الإصلاحية أساساً من التفكير الكونفوشيوسي التقليدي ، وإثارة شكوك المثقفين في المؤلفات الكلاسيكية ، التي عدها مزيفة ، الامر الذي أدى الى خلخلة الأساس الأيديولوجي الذي يستند اليه الإقطاعيون في أساليبهم المستمدة من أسلوب الأسلاف ، لذلك حاولت الحكومة منع تداول هذا الكتاب[٣٣]، وفي مؤلفه الثاني حاول كانغ أن يظهر كونفوشيوس على انه من كبار الإصلاحيين الذين اتخذوا سلطة الأسلاف أساساً للإصلاح، وذلك لكسب رأي عام يؤيد آراءه في الإصلاح، بوصفها امتداداً لأفكار كونفوشيوس وبعد قيام الحرب مع اليابان عام ١٨٩٤ تزايدت أفكار كانغ يووي التي وجد فيها العديد من المسؤولين والطلاب حلاً لمشاكل الصين وشكلت إتجاهاً قوياً بعد هزيمة الصين في الحرب مع اليابان عام ١٨٩٥، طالب الحكومة على نحو مباشر بضرورة تبني الاصلاح الدستوري[٣٤]. من الواضح أن كانغ حارب في كتاباته، المحافظين المتطرفين الذين طالما وقفوا عقبة كأداء في طريق الاصلاح، وذلك بالتشكيك بالأساس الايديولوجي الذي يستندون اليه، والاعلان بان الكلاسيكيات انما زيفت لتبرير مصالحهم، والى جانب ذلك فانه حاول ان يكسب اراءه في الاصلاح شرعية أيديولوجية، بربطها بالأفكار الكونفوشيوسيه، واظهار كونفوشيوس على انه احد كبار الاصلاحيين، لعلها تحظى برضى الحكومة التي تدين بالكونفوشيوسيه. وفوق كل ذلك فانه على الرغم من تأثر كانغ بأنظمة الدول الغربية وثقافتها، ودعوته للاقتباس منها، فان الثقافة الكونفوشيوسية التي يحملها بقيت تؤثر في طريقة تفكيره وتحديد اتجاهاته حتى في حركة المطالبة بالاصلاح التي نظمها بعد هزيمة

الصين في الحرب مع اليابان، والتي قادت فيما بعد الى قيام ما عرفت في تاريخ الصين الحديث بحركة إصلاح المئة يوم.

الخاتمة

إذا كان الصينيون قد تمكنوا من المحافظة على ثقافتهم التقليدية وأسلوب حياتهم ولمدة قرنين من بعد سيطرة المانشو عليهم ، فذلك لان المانشو اقل حضارة وثقافة من الصينيين أنفسهم ، فانغمس المانشو بثقافة الصينيين وتطبعوا بطباعهم ، والحال هذا لا ينطبق مع أسلوب استجابة الصينيين لتحديات الدول الأوربية والولايات المتحدة ، ولا سيما بعد ان أثبتت لهم الأحداث ان إمبراطوريتهم ليست أرقى الأمم ، وان هذه الدول ليست متبربرة كما وصفوها وإنما هي أمم حازت على نصيب من العلم مكنها من تطوير مؤسساتها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية ، والعسكرية ، واستطاعت ان تلحق بالصين هزائم متكررة لدرجة أوشكت فيها الصين على الانهيار ، فكان من نتيجة ذلك ان زُلزل أسلوب تفكير الصينيين، وضعف تمسك ، من تأثر منهم بالثقافة الغربية بالثقافة الصينية التقليدية التي أثبتت عدم قدرتها على مواجهة تحديات تلك المرحلة ، وأيقنوا ان البلاد مشرفة على الانهيار وأن مؤسساتها التقليدية ، ولا سيما السياسية ، لم تعد ملائمة لروح العصر ، ولا بد من القيام بحركة إصلاحية شاملة على غرار تلك التي قامت في اليابان ، والتي اتخذت من المؤسسات الغربية مثالاً احتذت به في نهضتها في المجالات كافة ، الا انهم مع ذلك ، لم يستطيعوا ان ينسلخوا عن الثقافة الصينية التقليدية التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ ، والتي ظهر تأثيرها واضحاً في آرائهم الاصلاحية ، إذ جعلوا منها الاساس في الاصلاح ، ولم يقدموا حلولاً جذرية لمشاكل الصين ، فهم دعوا الى ضرورة تحويل نظام الحكم من ملكية مطلقة الى ملكية دستورية يشترك فيها البرجوازيون الى جانب الإقطاعيين في السلطة وهذا يشتمل بطبيعة الحال على ابقاء النظام الإقطاعي من دون محاولة الإطاحة به مثلما فعل اليابانيون ، فظهرت دعوة صريحة من بعضهم الى تشكيل برلمان يتوارثه الإقطاعيون فيما بينهم، ومع كل ذلك فان ظهور الاتجاه الإصلاحي في الصين في ذلك الحين يمكن ان يعد حالة متقدمة قياساً لما كانت تعيشه الصين من تأخر .

الهوامش

(١) شنت كل من بريطانيا وفرنسا هذه الحرب على الصين في عام ١٨٣٩ بسبب إيقافها تجارة الافيون ورفضها معاملة هذه الدول التي وصفتها بالبربرية على قدم المساواة واسفرت هذه الحرب عن هزيمة الصين وإجبارها على توقيع معاهدة نانكنغ عام ١٨٤٢، والتي نصت على فتح خمسة موانئ للتجارة الخارجية وهي نانكنغ، وفوتشو، وشنغهاي، وكانتون، واموي،

وقد وضعت هذه المعاهدة حجر الاساس لانفتاح الصين في علاقاتها الخارجية على العالم الخارجي بعد عزلة طويلة زادت على القرنين. للمزيد عن ذلك ينظر:

P.C. Kuo, Acritical Study of the First Anglo–Chinese War with Documents, University of Hlionois, United States of America ,1963.

(٢) أدركت بريطانيا التي شهدت في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، توسعاً كبيراً في إنتاجها الصناعي، وازدادت حاجتها للمواد الاولية للازمة لإدامة صناعتها ، ولأسواق تصريف بضائعها ، أن معاهدة نانكنغ لم تعد تفي بالغرض وانه لا بد من النفوذ الى المناطق الداخلية من الصين ، فكان من نتيجة ذلك ان شنت حرباً على الصين ، واجبرتها على توقيع معاهدة تيانتسين عام ١٨٥٨ ، ومن ثم اتفاقيات بكين ١٨٦٠ التي وافقت الصين بموجبها على فتح عشرة موانئ جديدة للتجارة ، واعترفت بشرعية تجارتي الافيون والعمال ، والإقرار بحرية ممارسة المبشرين لإعمالهم . للمزيد عن ذلك ينظر:

Paul H. Clyde ,The Far East : A History of Western Impacts and Eastern Responses 1830-1975, prentice Hall , Sixth Edition , United States of America , 1975 ,P.89;

Treaty of Peking, Between the United Kingdom and China, Signed at Peking October 24, 1860, In Foreign Office, Hand Book of Commercial Treaties, E T C . With Foreign Powers, Crown Copyright Reserved, Fourth Edition, London,1931, pp.71-72 .

(٣) شهدت الصين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر سلسلة من الحركات الثورية التي أقلقت مضاجع أسرة المانشو ، واوصلتها الى حافة الهاوية ، وكان من أهمها ثورات المسلمين في المناطق الشمالية الغربية من الصين ، والتايبنغ في وسط الصين وجنوبه فضلاً عن ثورات النيان والمياو . للمزيد عن ذلك ينظر:

Wolfgang Franke, A Century of Chinese Revolution 1851-1949, Basil Blackwell, Oxford, 1970, pp.19-54.

The Emergence of Theory of Self-Strengthening (شبكة المعلومات الدولية)

(٤) تنتمي اسرة المانشو لقبائل مغولية استوطنت منشوريا شمال الصين، استفادت من الانقسامات الداخلية في الصين في اواخر حكم اسرة المينج (١٣٦٨-١٦٤٤)، وبالتعاون مع بعض المتمردين تمكنت من الدخول الى الصين والقضاء على حكم المينج وإقامة حكم اسرة المانشو (١٦٤٤-١٩١١) وهي آخر أسرة إمبراطورية حكمت الصين، تمكنت من إقرار حكمها في المناطق الشمالية، اما المناطق الجنوبية فكانت موطناً للمعارضة التي طالما عدت المانشو أسرة أجنبية. للمزيد ينظر:

Michael Dillon, Dictionary of Chinese History, Fran; Cass and Company Limited, Great Britain, 1979, p.31.

(٥) تنتسب يهونالا المولودة عام ١٨٣٥، الى إحدى الاسر النبيلة من قبيلة يهونالا المنشورية، التي كانت تتمتع بحظوة كبيرة في البلاط ، في عام ١٨٥٢ اصبحت حظية للإمبراطور شيان فنغ (١٨٥٠-١٨٦١) وتمكنت من التأثير فيه وانتزاع سلطة القرار منه، وبعد وفاته أصبحت وصية على ابنها ولي العهد تونغ تشي (١٨٦٢-١٨٧٥) وأصبحت السلطة الفعلية بيدها وبقيت كذلك حتى بعد بلوغ الامبراطور سن الرشد عام ١٨٧٢، ووفاته في عام ١٨٧٥، اذ نصبت ابن اختها البالغ من العمر اربع سنوات امبراطوراً باسم كوانغ شيوي (١٨٧٥-١٩٠٨) وأصبحت هي وصية عليه . نوري عبد الحميد العاني، تاريخ الصين الحديث (١٥١٦ -١٩١١)، مكتب الكلمة الذهبية ، بغداد ،٢٠٠٣ ، ص٨٧-٨٨.

(٦) The Emergence of Modern China: The Self – Strengthening Movement, P.2. (شبكة المعلومات الدولية)

(٧) نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق،ص١٢٦-١٢٧ .

(٨) هـ. ج . كريل، الفكر الصيني من كونفوشيوس الى ماوتسي تونغ، ترجمة عبد الحميد سليم، القاهرة، ١٩٧١، ص١٥-١٦ .

(٩) S. Tikhvinski, Histore de Lo Chine Les Temps Modernes, Editions Du Progres, Moscou, 1983, p. 343 .

(١٠) نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ص١٤٣.

(١١) ولد صن يات صن، الذي تزعم الاتجاه الثوري للاطاحة بحكومة المانشو في عائلة فلاحية قرب كانتون عام ١٨٦٧، درس الطب في هونولولو في جزر هاواي، ترك مهنة الطب واتجه للسياسة وشكل جمعية النهوض الصينية ١٨٩٤ ، ثم عصبة التحالف المشترك عام ١٩٠٥، ومنذ عام ١٨٩٥ حتى قيام ثورة ١٩١١ بقي صن يتجول بين أوربا والولايات المتحدة ، لجمع انصار للثورة من المهاجرين الصينيين، وبعد سقوط النظام الإمبراطوري عام ١٩١١ ، انتخب صن يات صن اول رئيس جمهورية في الصين، وأسس حزبه الوطني حزب الكيو منتانغ، ونتيجة للخلافات مع يوان شن كاي، اضطر صن للتنازل عن رئاسة الجمهورية له ثم شكل حكومة مستقلة في كانتون برئاسته، توفي عام ١٩٢٥ . للمزيد عن نشاطه ينظر: Dillon , OP. Cit ,P.197 .

(١٢) وتعني عهد الاستنارة، اطلقت على مدة حكم الامبراطور موتسو- هيتو (١٨٦٨-١٩١٢) التي بذلت فيها الحكومة قصارى جهدها لتحويل اليابان من دولة اقطاعية الى دولة صناعية حديثة ، من خلال تحديث مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة،

بجلب الخبرات التقنية من الدول الاوربية والولايات المتحدة ، من خلال استقدام الخبراء منها ، وارسال البعثات العلمية اليها . للمزيد عن ذلك ينظر :
David Steeds , China Japan and 19th Century Britain, Ireland ,1977 .

(١٣) أ . أبشتاين ، مولد الصين الشعبية من حرب الافيون حتى التحرر ، ترجمة حسين تمام، القاهرة، ١٩٥٧ ، ص٤٧-٤٨ .

(١٤) Edward J . M. Rhoods, Chinas Republican Revolution the Case of Kwangtung 1895-1913, Harvard University Press, 1975, pp.17-20.

(١٥) Jean Chesneaux and others,China From the Opium Wars to the 1911 Revolution, New York, 1976, p.183.

(١٦) Rhoods , Op . Cit ,p. 30 .

(١٧) Tikhvinski , Op . Cit , p. 343 .

(١٨) YenChing–Hwang,The Overseas Chinese and Lat Chi'ng Economic Modernization, Modern Asia studies, Vol,16, 1982, pp. 219-221. (١٩) Tikhvinski, Op.Cit, P.343.

(٢٠) تنظر شبكة المعلومات الدولية .The Hundred days Reform and the Aftermath

(٢١) كتاب الطقوس او ما يعرف بـ(المراسم) احد المؤلفات الخمسة التي جمعها حكيم الصين كونفوشيوس واعدها للنشر بعد ان اضاف اليها ذيولاً وتعليقات وتعرف عند الصينيين بكتب (القانون الخمسة) وهي التغييرات والاناشيد (الاغاني) وحوليات الربيع والخريف والتاريخ فضلاً عن كتاب الطقوس، ويضيف اليها الصينيون كتباً اخرى تعرف بـ(كتب الفلاسفة) تسجل هذه الكتب باختصار اراء واقوال كونفوشيوس كما تذكرها اتباعه ومريدوه بعد مدة طويلة من موته، وقد ظلت نصوص هذه الكتب تعتمد في امتحانات الخدمة العامة في الصين حتى عام ١٩٠٥ . للمزيد عن ذلك ينظر: نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠.

(٢٢)Tikhvinski ,Op.Cit,P.313.

(٢٣) ليس هناك الكثير من المعومات عن حياته المبكرة الا ان تمسكه بالثقافة الكونفوشيوسية وتأثره بالثقافة والنظم الغربية، تدل على انه تلقى تعلمه في احدى المدارس الحديثة التي

انشئها قادة سياسة التعزيز الذاتي، بدليل انه عمل لاحقاً على ادارة العديد من المؤسسات التجارية والصناعية التي انجزها هؤلاء، ففي المدة ١٨٨٢-١٨٨٤ اصبح مديراً لمعمل نسيج شنغهاي الذي أنشأه لي هونغ تشانغ .

Tikhvinski ,Op ,Cit ,p.313 .

(٢٤) Ibid.

(٢٥) ولد يان فو في فوكين جنوب الصين ، واصبح يتيماً في سن مبكر من عمره، تلقى تعليمه في المدارس الحديثة التي أنشأتها جماعة سياسية التعزيز الذاتي، وبعد تخرجه منها أمضى سنتين في بريطانيا، الامر الذي ساعده على توسيع حصيلته الفكرية، وازدياد تأثره بالثقافة الغربية، وحصل بعد عودته الى الصين على وظيفة من المرتبة الثانية، في خدمة لي هونغ تشانغ حاكم مقاطعة تشيلي، وبادر بعدها الى ترجمة عدد من الكتب الاجنبية مثل كتاب ادم سمث ثروة الامم ، وكتاب دراسة في علم الاجتماع لهربرت سبنسر.

مجموعة من اساتذة التاريخ بجامعة فودان وجامعة المعلمين في شنغهاي، الحركة الاصلاحية عام ١٨٩٨ ، دار النشر باللغات الاجنبية ، بكين ،١٩٧٨ ، ص٤٥ - ٤٦.

(٢٦) المصدر نفسه .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص٩ - ١٠ .

(٢٨) ولد كانغ يووي في اسرة اقطاعية في نابنهاي في مقاطعة كوانغتونغ جنوب الصين، وتلقى تعليمه في المدارس الكونفوشيوسيه ، وتجول في شنغهاي وهونغ كونغ ، واطلع فيها على الكتب والمجلات الغربية، واعجب بها، وبنظام الإدارة فيها ، وغير نظرته للدول الغربية التي طالما وصفها الصينيون بالبربرية ، بل وجد فيها اماماً متقدمة ويجب الاقتداء بها . للمزيد ينظر: المصدر نفسه ،ص٤٦ .

(٢٩) Tikhnivski , Op. Cit ,P.P.313 -314.

(٣٠) Ibid , p.p. 344-345.

(٣١) Immanuel C. Y . Hsu the Rise of Modern China , Oxford University Press, Second Edition, London , 1975, p.p. 441-442.

(٣٢) Ibid.

(٣٣) Wttold Rodzinski, A History of China, Pergamon Press Oxford, Vol . 11 , p. 363. ,1979الحركة الاصلاحية ، ص٥

(٣٤) Chesneaux , Op , Cit , p. 215 .